منهج الاعتدال في فكر الإمام مالك بن أنس وتصحيح الوضع القائم في عصره

م.د. حسن حسين عيّاش
كلية الآداب والعلوم– جامعة فلسطين الأهلية/ بيت لحم/ فلسطين

المقدمة

عاصر الإمام مالك بن أنس أواخر الدولة الأموية، وأوائل الدولة العباسية، وكذلك عاصر الصراعات السياسية وما نتج على أثرها إلى وقوعه في محنة وضعته في موقف لا يحسد عليه.

تجمعت عدة عوامل انعكست على تشكيل شخصية الإمام مالك بن أنس والتأثير فيها، فقد حرص على طلب العلم، وكان لديه رغبة في الجد والاجتهاد منذ صغره، فحصل من العلم الكثير، وقصده طلاب العلم من كل حدب وصوب، وكان يتمتع بقدر كبير بين أهل العلم، قال عنه الشافعي(ت٢٠٤هـ/٨١٩م):"ما هبت أحدًا قَطُّ هيبتي مالك بن أنس حين نظرت إليه"(١).

ولاشك أن دراسة منهج الإمام مالك بن أنس، وأثره في معالجة الفساد وتصحيح الوضع، في عصره، يعد من أهم الطرق الصحيحة لفهم سمات المرحلة التاريخية القائمة في ذلك الوقت. وعليه فإن هذه الدراسة ستتعرف على سمات الإمام مالك بن أنس، وفهم منهجه في الإصلاح السياسي في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، وأواخر القرن الثالث الهجري أي زمن الأمويين والعباسيين، وهذا من دوافع دراسة الموضوع.

تهدف هذه الدراسة إلى تبيان الظروف التي عاشها الإمام مالك بن أنس في ظل الدولتين الأموية والعباسية، وكيف تعامل معهما، وما عاناه من السلطة السياسية، وبيان اجتهاده الفقهي، فنظرة سريعة إلى مواقفه تدل على سعة أفقه، وبُعد نظره ومعرفته بحال عصره. وستتابع منهج الإمام مالك بن أنس في الإصلاح السياسي، وحرصه على مصلحة الدين والأمة الإسلامية، والمكاسب التي تعكس الوسطية والاعتدال، ومنهج الاستقرار في كل أمور الحياة كمنهج الأمة الإسلامية بعيداً عن الغلو والتطرف، والتي جاءت كثمرة لجهود الإصلاح التي بذلها الإمام مالك بن أنس، وستشمل الدراسة نظرة سريعة على حياة مالك بن أنس، والتاريخ السياسي في عصره، ونظرة للمحنة التي تعرض لها، وجهوده في تصحيح الوضع في ذلك العصر، وكذلك منهجه الوسطي الذي يرتكز على مصلحة الأمة كأساس بارز في فكره السياسي، ودأبه في إرساء أسس الوحدة، وتثبيت الحوار في عصره، والعلاقة بينه وبين السلطة السياسية.

أما المنهج الذي سارت عليه الدراسة، فهو المنهج التاريخي الذي يعتمد على استرداد الأحداث التاريخية، والمنهج الوصفي الذي يرصد هذه الأحداث وينقدها ويحللها. وتناولنا في الخاتمة نتائج الدراسة وتوصياتها.

منهج الاعتدال في الإسلام

سوف تلقي الدراسة من خلال هذا المدخل على مفهوم الاعتدال، وفي إطار ذلك، ستنطلق من زاوية إسلامية، فمعظم الذين تناولوا موضوع الاعتدال من جهة والغلو من جهة أخرى، مالوا إلى أن الغلو هو رديف التطرف والإرهاب، وأنه نشأ في أحضان الإسلام، لأن التركيز انصب على المتطرفين المسلمين، وهذا ما صورته بعض الدراسات من أن المسلمين كلهم متطرفون، ولا شك أنَّ لهم في ذلك دوافعهم.

إن التطرف، وهو عكس الاعتدال من أبشع الظواهر الاجتماعية، بما يحمله من الغلو والإقصاء والتكفير. ومن هنا يستغل أعداء الأمة هذه الأعمال، وكأنها مرتبطة بالعرب والمسلمين، وقد لا نشذ عن الصواب إن قلنا بالإسلام، ولا يخفى علينا جميعاً كيف استطاع الأعداء على مر التاريخ الإسلامي أن يحدثوا ثورة ضد الإسلام من خلال تنظيمات غلفوها بالدين، وكأنها تمثل الإسلام الحنيف، ومثل هذه التنظيمات المتطرفة استطاعت أن تشوش أذهان الشباب، وتحرف مزاجهم، وتسمم أفكارهم ضد مجتمعاتهم، قديما وحديثاً، فللرواسب التاريخية من أحزاب، وحركات، نصيب كبير كمصدر من مصادر فكر المتطرفين، لتتوالى الانحرافات التي طرأت على مجتمعاتنا بلا دليل من كتاب أو سنة متجاوزة كل المعايير الإسلامية.

إن تعميم روح العدالة أمر يستدعي الاعتدال، فهو يحقق التوازن في الحياة البشرية والتعايش السليم، لأن الاعتدال يُرسخ مبادئ الأخلاق، ويمنع التطرف، وهو ضمان لاستمرار العمل الصالح ودوام الخير، ثم إشاعة منهج الرحمة والتراحم، ولقد وصف الله تعالى أمة الإسلام بالاعتدال في كل أمور الحياة، يقول تعالى:﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ، وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾[٢]، فالدين في جوهره ومجمل وظائفه وشرائعه، إنما هو أخلاق وتخليق، ولذلك قالوا: إن الدين كلَّه خُلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين[٣].

وهذا المعنى الخلقي للدين ورسالته، هو ما صرح به أيضاً الحديث النبوي المعروف: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[٤]، وفي هذا الشأن ورد عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال:"ما خطبنا نبي الله ﷺ إلا قال: لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له"[٥]، والفقهاء فهموا التنزيل وفقهوا في الدين، فقد روي عن النبي ﷺ:" مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ"[٦].

والرسول ﷺ صاحب السبق في الاعتدال والعفو والرحمة، وهذا ربما لا نجده في تاريخ أي إنسان، يتمثل جانب فيه ما حدث في أمر عمير بن وهب الجمحي (ت٢٤هـ/٦٤٥م) حين حاول قتل الرسول ﷺ، وقد علم الرسول ﷺ بنواياه، ومع ذلك فقد تعامل معه الرسولﷺ بالحسنى والرفق، وحاوره بلطف ولينة[٧]. وكذلك ما حدث في فتح مكة عندما انتظره أهل مكة الذين أخرجوا الرسولﷺ منها، وحاولوا قتله وآذوه وآذوا أصحابه وحاربوهم، لقد توقع أهل مكة، أن يمارس الرسولﷺ، شتى صنوف العذاب بحقهم، لكن الرسولﷺ قال لأهل مكة:"ما تظنون أنى فاعل بكم؟ "قالوا: خيرًا أخ كريم وابن أخ كريم، فقال: "اذهبوا فأنتم الطلقاء، لا تثريب عليكم اليوم، يغفر الله لي ولكم"[٨].

لقد اثبت منهج الاعتدال نجاحاً عظيماً في ترسيخ مبادئ التسامح، وإثراء الساحة الفكرية والثقافية، وهذا المنهج يستقي تعاليمه من كتاب الله عز وجل، فالإسلام دين يرفض التطرف والاستبداد، ويقيم مكانهما الحوار وتبادل الرأي والرأي الآخر، ويؤكد أهمية الاعتدال، وتعزيز روح المحبة والأصالة بين الجميع بعيداً عن النزاعات والتطرف، وشتى مظاهر التعصب الأعمى.

والاعتدال يهذب النفوس ويصفيها من الأحقاد والعداوة، وينشر الأمن ويزرع الثقة، وهو مطلب شرعي ومظهر حضاري رفيع ليتحقق التكامل والانسجام والتعاون بين الجميع، ويعم الإخاء والإقدام على العمل كأساس لكل تقدم ورفاه. وهنا لا بد من الحديث عن مفهوم الاعتدال في اللغة والاصطلاح

الاعتدال لغة واصطلاحاً

تحاول الدراسة تسليط الضوء على مفهوم الاعتدال لغة واصطلاحاً، وبيان علاقته بمنهج الإمام مالك، ولتوضيح القصد من الاعتدال نظرياً، فإن كلمة "الاعتدال" في اللغة تطلق على تَوَسُّطُ حالٍ بين حالَيْن، بينَ الإِفْراطِ والتَّفْرِيطِ، وقد أجمعت معاجم اللغة أن الاعتدال يعني التوسط، وخلاف الجور، والاستقامة، والتقويم، والتسوية، والمماثلة، والموازنة، والتزكية، والمساواة، والإنصاف، والعدول: هم الخُيَّار، والتوسط أي أن الاعتدال رديف الوسطية"[٩].

أما معنى كلمة "الاعتدال" اصطلاحا: فهو التزام المنهج العدل الأقوم، والحق الذي هو وسط بين الغلو والتنطع، وبين التفريط والتقصير، فالاعتدال والاستقامة وسط بين طرفين هما: الإفراط والتفريط، والاعتدال يرادف الوسطية التي ميز الله بها المسلمين، قال تعالى:﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[١٠]. وجاء في تفسير الآية قول الرسول ﷺ: "والوسط: العدل، فهذه الأمة تشهد على شهادة نبيها الصادق"[١١].

ولا يتحقق الاعتدال في الاعتقاد والعمل والعلم والدعوة وغيرهما، إلا بالتزام الكتاب والسنة، ومن أهم أشكال الاعتدال ومجالاتها: اعتدال المنهج الفكري، وذلك باتباع الأدلة والحجج العلمية والعقلية، دونما التواء أو تحريف، فالمجهود الفكري، إذا لم يكن محكوماً بالاعتدال والنزاهة والأمانة والصدق، يمكن أن يكون من صنوف الانحراف والتحريف، وأشد أنواع الضلال والتضليل، فالاعتدال يجمع الصدق، والإخلاص، والنزاهة، والعدل، والإنصاف، والوفاء، والأمانة واجتناب الانحراف، والإفراط، والاستبداد، والتفريط.

ومنهج الاعتدال في الفقه، هو المنهج المتوازن المعتدل الذي يجمع بين اتباع النص ورعاية مقاصد الشريعة، أما الاختلافات الفقهية بين المدارس الفقهية فأثرت الفقه، وعملت على تجنب نقاط الضعف التي عندها حسب اجتهادها.

وإننا لنجد بعد هذا، أنَّ هناك انسجاماً بين روح الإسلام وفلسفته التي قامت على الوسطية والاعتدال، والإمام مالك بن أنس صاحب منهج عقدي معتدل، إذ قضى حياته في جهاد مستمر من أجل عقيدته، ليؤدي

رسالته، والذي تحّمل من أجلها صنوف العذاب والمحن. وسنشير إلى هذه المسألة في سياق الحديث عن منهج الاعتدال عند الإمام مالك بن أنس وجهوده الفقهية التي أقامها من خلال الحجج القطعية من الكتاب والسنة.

منهج الاعتدال عند الإمام مالك

يعد الإمام مالك شخصية مزدوجة انعقد له لواء علم الحديث؛ كما انعقد له لواء علم الفقه"[١٢]. إلى جانب ذلك تجمعت عدة عوامل كما ذُكر، انعكست على تشكيل شخصيته والتأثير فيها، فكانت حافزاً قوياً للمضي فى منهجه نحو الاعتدال، وقول الحق مستخدماً ما آتاه الله من حكمة وعقلانية، ومواجهة تُمكنه من درء الفتن، ونبذ التطرف، والميل نحو تصحيح الوضع القائم في عهده، قال عنه الشافعي(ت٢٠٤هـ/٨١٩م):"ما هبت أحدًا قَطُّ هيبتي مالك بن أنس حين نظرت إليه"[١٣].

والمتأمل في منهج الإمام مالك بن أنس يتبين له أنه يتسم بالاعتدال والحوار، فقراءة تحليلية متأنية لسمات المرحلة التاريخية القائمة في زمنه، وكيف تعامل معها وعلاقته مع السلطة الحاكمة، وكذلك قراءة لمواقفه تدل على سعة أفقه، وبُعد نظره، ومعرفته بحال عصره.

عاش الإمام مالك تواقّاً إلى الإصلاح، وتصحيح الوضع في عصره، والانحياز إلى الأمن والاستقرار، وكان صاحب رؤية دقيقة وحكيمة في موقفه من الأحداث السياسية التي واكبت الدولة العباسية، كما أنه لم يكن مداهناً لحاكم أو منتفعاً منه، فلم ينتظر مالاً أو جاهاً، وكان لا يكتم فقهه، فكانت بعض فتاواه تخالف السلطة الحاكمة، ومثال على ذلك أنه أفتى في طلاق المكره بأنه لا يجوز، وتشير المصادر إلى أنه ضرب وعُذب على أثرها [١٤]، فهذه الفتوى أغضبت والي المدينة جعفر بن سليمان(ت١٧٥هـ/٧٩١م)، وفي ذلك يقول ابن خلدون(ت٨٠٧هـ/١٤٠٤م):"لهذا لمّا أفتى مالك رضي الله عنه بسقوط يمين الإكراه أنكرها الولاة عليه، ورأوها قادحة في أيمان البيعة، ووقع ما وقع من محنة الإمام "[١٥].

ويمثل منهج الإمام مالك الامتداد الشرعي لمنهج النبي ﷺ، الذي يتمثل في أهليته كمصدر في الاستدلال على الاعتدال، ولقد عرف عنه الاعتدال والتواضع، وكان لا يدّعي العلم فيما لا يعرفه، فهو يقر عجزه عندما يعجز، وكان يتحرزُ أن يُخطئ في إفتائه، ومن تمام أدبه أنه كان يكثر من قول "لا أدري"، ولا يأنف من الاعتراف بذلك، ومن ذلك قوله: "إنما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به، وما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه"[١٦].

لقد حرص الإمام مالك على مصلحة الدين، والأمة الإسلامية، وتجنب كل ما من شأنه إيقاظ الفتنة بجميع أشكالها، وكانت انعكاساً لدعوته إلى الوسطية والاعتدال والاستقرار في كل أمور الحياة كمنهج إسلامي بعيداً عن التطرف، وهي ثمرة جهوده التي بذلها في الإصلاح.

فكر الاعتدال عند الإمام مالك تجاه المذاهب الأخرى

كما أشير سابقاً، فإن الإمام مالك اتسم بالاعتدال حيث تمثل ذلك في الحوار الذي اتصل بالاجتهاد والقدرة على التجدد، فالإنتاج في مجال الاجتهاد الفقهي يعتمد على الحوار كعامل أساسي في تكوين العقل المنتج، وقد حمل الفقهاء لواء الإسلام حضارة ومعرفة وعلماً، ووظفوا أفكارهم لصالح الاعتدال، ونبذ

التطرف، والانفتاح على الآخر، وتجلى هذا الانفتاح والانسجام بين الإمام مالك وأصحاب المذاهب الأخرى، فلم نسمع أن خلافاً حصل أو مشاحنة بين الإمام مالك وغيره. ولا يزالوا حتى يومنا هذا محل ثناء وإجلال، فكانوا دعاة حوار وتسامح واعتدال وفكر وسطي الوجهة والنزعة، فهو فكر يتجلى بالدعوة إلى المرونة .

ومما يؤكد ذلك دور الإمام مالك في الأمر إلى الخير، وينهى عن الشر، وكان ينهى الجدال ويرى أن الجدال يورث الضغائن"[١٧]، والمتتبع لسيرته يجد أنه كان أبعد الناس عمّا يثير الفتن، أو المشاركة في أمر من أمور الفرق، وكان لا يتحزب لفئة على أخرى.

جهود الإمام مالك في نُصح أولى الأمر ومنهجه في تصحيح الوضع القائم

على الرغم ممّا عاناه الإمام مالك من السلطة الحاكمة، فقد نهج منهجاً عقدياً معتدلاً وواضحاً ارتكز على مصلحة الأمة كأساس في إرساء أسس الحوار في عصره، وكان يرى أن الاعتدال في التعامل مع ما يحدث من ظلم أخف من الفتن التي تفضي إلى الفوضى، وعدم الاستقرار على أن لا يفهم من ذلك أن الإمام مالك، كان مؤيداً للظلم الذي تمارسه السلطة، لكنه كان يترك للسلطة المجال للعمل، والمضي نحو الأمن والحوار بالنصح والإرشاد، والدعوة للمحافظة على مصالح المسلمين، وفي هذا المجال يقول الإمام مالك:"حق على كل مسلم، أو رجل فعل الله في صدره شيئاً من العلم والفقه أن يدخل إلى ذي سلطان يأمره بالخير، وينهاه عن الشر، ويعظه حتى يتبين دخول العالم على غيره، لأن العالم إنما يدخل يأمره بالخير، وينهاه عن الشر، فإذا كان، فهو الفضل الذي لا بعده فضل"[١٨].

ومن أهم سمات الإمام مالك الاعتدال والوسطية، ونبذ الفتن والتطرف، امتثالاً للسنة الشريفة، وسيرة الصحابة-رضوان الله عليهم- لذلك يروى أنه:" دخل يوماً على هارون الرشيد، فحثه على مصالح المسلمين"[١٩].

وآثر الإمام مالك مصلحة أمته على مصلحته الشخصية، في مناصحة الأمراء، فكان يحمل نفسه عناء الذهاب، ويغلظ عليها ليأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، وكان يؤثر إرشادهم على التحريض عليهم"[٢٠]، فيذكر أنه قال لبعض الولاة:" إنك مسؤول عنهم(أي الرعية)"[٢١]. ولم يكن يخشى الحكام، بل كان يدخل عليهم مقدماً لهم النصح، لا يخشى في الله لومة لائم، وفي ذلك يروى عنه قوله:"ما دخلت على أحد منهم يعني السلاطين إلا أذهب الله هيبته من قلبي، حتى أقول له الحق"[٢٢].

والمتأمِّل في مواقف الإمام مالك يجد أنه تميز بفكره المعتدل، وتعامله على أساس مصلحة الأمة، ويروى عن عبد الله بن الحكم(ت٢١٤هـ/٨٢٩م)قوله: سمعت مالك بن أنس يقول: شاورني هارون الرشيد في ثلاث: أن يعلق الموطأ في الكعبة ويحمل الناس على ما فيه. وفي أن ينقض منبر رسول ﷺ ويجعله من جوهر وذهب وفضه. وفي أن يقدم نافع بن أبي نعيم إماما يصلي بالناس في مسجد رسول ﷺ. فقلت يا أمير المؤمنين: أمّا تعليق الموطأ في الكعبة، فإن أصحاب رسول الله ﷺ اختلفوا في الفروع وافترقوا في البلدان، وكل عند نفسه مصيب. وأما نقض المنبر، فلا أرى أن تحرم الناس أثر رسول الله ﷺ. وأما تقديمك نافعاً

يصلى بالناس فإن نافعاً إمام في القراءة، لا يؤمن أن تبدر منه في المحراب بادرة، فتحفظ عنه. فقال وفقك الله يا أبا عبد الله"[٢٣].

ولم يكن ذلك باعثاً على الاغترار بهذا السبق بل نجده لا يجامل ولاة الأمر، إذ كان ينهى عن مجاملتهم والقول بما ليس فيهم، فقد أظهر رأيه بوضوح، وانتقد هذا الأسلوب من المجاملة إرضاءً للطرف الآخر، ومن ذلك ما يروى "أن الوالي كان مرة عند مالك بن أنس، فأثنى عليه بعض الحاضرين، فغضب مالك، ثم التفت إلى الوالي، وقال إياك أن يغرك هؤلاء بثنائهم عليك، فإن من أثنى عليك، وقال فيك من الخير ما ليس فيك، أوشك أن يقول: فيك من الشر ما ليس فيك فاتق الله في التزكية منك لنفسك، وترضى بها من يقولها لك في وجهك؛ فإنك أنت أعرف بنفسك منهم، فإنه بلغني أن رجلاً امتدح رجلاً عند النبيﷺ، فقال له النبي قطعتم ظهره أو عنقه لو سمعها ما أفلح، وقال النبي ﷺأحثوا التراب في وجوه المداحين"[٢٤].

يبدو واضحاً منهج الإمام مالك في تقديمه النصح وسعة صدره، وأنَّ ما يقوم به من النصح لولاة الأمور ما هو إلا حباً صلاحهم، وما ينعكس ذلك إيجاباً على الرعية، والحفاظ على حقوقهم.

تواضع الإمام مالك العلمي وأدبه مع مخالفيه وعدم تعصبه

دفع حرص الإمام مالك على كرامة العلم والعلماء بابتعاده عن كل ما يراه يمس بوقاره وهيبته، فتحمل المشقات والمحن والعذاب، لكنه لم يجعل نفسه محتاجاً إلى أحد، وكان يجتنب حاجته إلى أصحاب السلطة والقدرة، وقد قيل:"لما حج الرشيد دخل المدينة فقيل له، قد صنف مالك بن أنس كتاباً في الشرائع والآثار، فأنفذ إليه يستحضره الكتاب، فقال مالك: هذا كتاب قد جمعت فيه السنن والآثار ثم يسومني حمله إليه، لا فعلت ذلك. فقيل له: إنه جبار، ولا نأمنه عليك. قال: فإذاً أذل نفسي ولا أذل علمي"[٢٥].

لم ينزل الإمام مالك من مرتبته كعالم وفقيه، فكان بنظره الثاقب يرنو إلى السمو والرفعة، ويترفع عن صغائر الأمور، وكل ما من شأنه أن يخلق إشكالات في المسائل الفقهية، فكان يبتعد عن الجدل إلا للضرورة، وفي الحدود التي لا تمس المنهج المعتدل الذي ارتضاه، قال بعضهم سأل أبو يوسف الرشيدَ، أن يأمر مالكاً يناظره، فقال: ناظره يا أبا عبدالله. فقال مالك إن العلم ليس كالتحرش بين البهائم والديكة"[٢٦]. ويذكر عنه قوله:" المراء والجدال في الدين يذهب بنور العلم من قلب العبد، ويقول إن الجدال يقسي القلب ويورث الضغائن"[٢٧].

وعرف عن الإمام مالك تواضعه؛ فكان لا يفتي في مسائل لا يعرفها، من ذلك ما يروى عنه أنه سئل عن مسألة، فقال: لا أدري. فقال له السائل: إنها مسألة خفيفة سهلة، وإنما أردت أن أُعلم بها الأمير، وكان السائل ذا قدر، فغضب مالك، وقال: مسألة خفيفة سهلة، ليس في العلم شيء خفيف، أما سمعت قول الله تعالى﴿ :إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ [٢٨]، فالعلم كله ثقيل، وبخاصة ما يسأل عنه يوم القيامة"[٢٩]، وبلغَ من تواضعهِ في العلم، أنه يمتنع أن يجيب عن بعض الأسئلة شاكّاً في إجابات غير مؤكدة عنها وتواضعاً منه، وإلى ذلك روى صديق لمالك بن أنس، قال: قلت لمالك: يا أبا عبد الله يأتيك ناس من بلدان شتى، قد أنضوا مطاياهم، وأنفقوا نفقاتهم، يسألونك عما جعل الله عندك من العلم تقول: لا أدري فقال: يا عبد الله يأتيني الشامي

من شامه، والعراقي من عراقه، والمصري من مصره، فيسألونني، عن الشيء لعلي أن يبدو لي فيه غير ما أجيب به، فأين أجدهم؟"[٣٠]. يفهم من ذلك أن الإمام مالك كان يتحرى الفتوى، ويدل على ذلك قوله: إني لأفكر في مسألة منذ بضع عشرة سنة فما اتفق لي فيها رأي إلى الآن، وكان يقول: ربما وردت علي المسألة فأسهر فيها عامة ليلتي"[٣١].

نظرة موجزة على حياة الإمام مالك بن أنس

الإمام مالك بن أنس علم معروف تشهد آثاره على عظمته، واسمه مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحى، وكنيته أبو عبد الله، ولد ونشأ في المدينة المنورة سنة ٩٣ هـ/ ٧١١م)، وهذا أسهم في صقل علمه الفذّ، وخصاله المتميزة، حيث تشير الروايات إلى أنه لم يخرج من المدينة إلا حاجاً، واتصف بحسن الخلق والرزانة، وسرعة الحفظ، والفهم، بدأ الإمام مالك بطلب العلم، وهو صغير السن، يدل على هذا قول بعض معاصريه لقد رأيت مالكاً في حلقة الربيع، وفي أذنه شنف، وعن حفظه وسعة علمه قال الشافعي:"وإذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب، ولم يبلغ أحد مبلغ مالك في العلم لحفظه وإتقانه وصيانته"[٣٢]، ورُوي أنه طلب من أمه أن يذهب إلى مجالس العلماء ليكتب العلم، ويدرسه فألبسته أحسن الثياب، وعممته ثم قالت له فاكتب الآن"، وكانت تقول له: اذهب إلى ربيعة فتعلم علمه قبل أدبه"[٣٣].

ولعل أبلغ ما عُرف به أنه إمام دار الهجرة، وعالم أهل الحجاز في عصره، فكان إماما في العقيدة وعلوم الشريعة، وصاحب منهج متميز في الاجتهاد، تأهل للفتيا وجلس للإفادة، وله إحدى وعشرون سنة، مما كان له أكبر الأثر في تطور مشعل المعارف الدينية والالتزام بها، وكانت المدينة المنورة آنذاك مقصداً للعلماء وطلاب العلم، وهكذا أخذ الإمام مالك من أهم منارة للعلوم الإسلامية. فأسس مذهباً في الفقه وصار ينسب إليه، وحمل تلاميذه هذا المذهب ونشروه في المغرب الأقصى، وشمال إفريقيا، وغربها، وبلدان أخرى في المشرق العربي، وقد توفي الإمام مالك –رحمه الله في المدينة سنة (١٧٩هـ/٧٩٥م)، ودفن بالبقيع"[٣٤].

وأثنى عليه الكثير من العلماء، قال عنه عبد الله بن المبارك(ت١٨١هـ/٧٩٧م): " لو قيل لي اختر للأمة إماماً لاخترت لها مالكا"[٣٥]. وقال يحيى بن سعيد القطان (ت١٩٨هـ/٨١٣م): "مالك بن أَنس أَمير المؤمنين في الحديث"[٣٦]، ويروى عن عبد الرحمن بن مهدي(ت١٩٨هـ/٨١٤م) : ما رأيت رجلاً أحسن عقلاً من مالك بن أنس"[٣٧]. وورد كذلك في الثَّناء على الإمام مالك وعلمه عن الشافعي قوله (ت٢٠٤هـ/٨١٩م): "مالك معلمي وأستاذي، ومنه تعلمنا العلم، وما أحد أمن علي من مالك، وجعلت مالكاً حجة فيما بيني وبين الله تعالى"[٣٨]، وفي مجال الثناء عليه أيضاً رُوى عن الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ/٨٥٥م) قوله :" مالك سيد من سادات أهل العلم، وهو إمام في الحديث والفقه، ومن مثل مالك متبع لآثار من مضى مع عقل وأدب[٣٩].

ويجدر بنا التوقف أمام مؤلفات الإمام مالك، إذ دلَّت الأخبار أن الإمام مالك صنّف كتباً عدة يأتي في مقدمتها كتابه "الموطأ"، وقد عني به عناية فائقة حتى قالوا : "عرضنا على مالك الموطأ في أربعين يوماً فقال: كتاب ألفته في أربعين سنة أخذتموه في أربعين يوماً قل ما تفقهون فيه"[٤٠]، وقد قيل: إنه بقي يمحص فيه إلى أن مات، فكلما راجعه حذف منه بعض ما سبق أن أثبته فيه، وقال مالك: "عرضت كتابي هذا على

سبعين فقيهًا من فقهاء المدينة، فكلهم واطأني عليه فسميته الموطأ، فقيل لهذا سمي الموطأ"[٤١]، واستند الإمام مالك في الموطأ اجتهاداته واستنباطاته الفقهية، وهي: السنة، وقول الصحابة، وقول التابعين، والرأي والاجتهاد، ثم عمل أهل المدينة، وجاء في كتاب "شرح تنقيح الفصول" عن أصول المذهب المالكي": هي القرآن والسنة والإجماع وإجماع أهل المدينة والقياس وقول الصحابي والمصلحة المرسلة والعرف والعادات وسد الذرائع والاستصحاب والاستحسان"[٤٢]، قال الشافعي عن كتاب الموطأ: " وما كتب الناس بعد القرآن شيئاً هو أنفع من موطأ مالك"[٤٣]، ولم يكن الموطأ وحده هو كل ما ألف مالك بل كانت له مؤلفات أخرى، ولقد بدأ في تأليفه على عهد المنصور (١٣٦/١٥٨هـ= ٧٥٤/٧٧٥م)، وبطلب منه لما شاعت آراء الفرق، وتعددت فتاوى المفتين واختلف القضاة والفقهاء"[٤٤]، وكان أبو جعفر المنصور يريد أن يجعل علم مالك في هذا الشأن قانوناً عاماً، وقد عزم الرشيد(ت١٩٣هـ/٨٠٩م) على ذلك كما عزم عليه المهدي، وإن كان قد عارض مالك بن انس طلب أبي جعفر المنصور بقوله:"إن أصحاب رسول الله ﷺ تفرقوا في البلاد، فأفتى كلٌ في مصره بما رأى"[٤٥]، وجاء في كتاب "تاريخ الرسل والملوك" قول الإمام مالك لأبي جعفر المنصور:" فان الناس قد سبقت إليهم أقاويل، وسمعوا أحاديث ورووا روايات، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم، وعملوا به، ودانوا به من اختلاف الناس وغيرهم وان ردهم عما قد اعتقدوه شديد، فدع الناس وما هم عليه، وما اختار أهل كل بلد لأنفسهم، فقال: لعمري لو طاوعتني على ذلك لأمرت به"[٤٦].

يقول القاضي عياض (ت٥٤٤هـ/ ١١٤٩م):"... له أوضاع كثيرة، وتآليف غير الموطأ رواية عنه، أكثرها بأسانيد صحيحة في غير فن من العلم، لكن لم يشتهر عنه غير الموطأ، وسائر تآليفه إنما رواها عنه من كتب بها إليه، أو سأله إياها، أو آحاد من أصحابه، ولم يروها الكافة"[٤٧]، إلى أن يقول: ومن أشهرها رسالته إلى ابن وهب في القدر، والرد على القدرية، وهو من خيار الكتب في هذا الباب، الدالة على سعة علمه"[٤٨]، ومنها كتاب في النجوم، ومنازل القمر"[٤٩]، ومنها رسالته في الأقضية، كتب بها إلى بعض القضاة عشرة أجزاء، ومن ذلك: رسالته المشهورة في الفتوى، أرسلها إلى أبي غسان محمد بن مطرف، وكذلك: رسالته المشهورة إلى هارون الرشيد في الآداب والمواعظ"[٥٠]، وكتابه في تفسير غريب القرآن، الذي يرويه عنه خالد بن عبد الرحمن المخزومي. وقد رُوي عن أبي العباس السراج النيسابوري(ت٣١٣هـ/٩٢٥م) أنه قال: "هذه سبعون ألف مسألة لمالك، وأشار إلى كتب منضَّدة عنده كتبها"[٥١]، وقد نُسب إلى مالك كتاب يُسمى السر من رواية القاسم عنه[٥٢].

الأوضاع السياسية في عهد الإمام مالك

لا شك أن دراسة منهج الإمام مالك بن أنس، وأثره في معالجة الفساد وتصحيح الوضع في عصره، يعد من أهم الطرق الصحيحة لفهم سمات المرحلة التاريخية القائمة في ذلك الوقت.

إن نظرة سريعة للمحنة التي تعرض لها الإمام مالك، ومنهجه الذي اتبعه في رؤيته للأوضاع في عصره، ومنهجه الوسطي الذي كان يرتكز على مصلحة الأمة، نلاحظ أن له جهوداً واضحة في إرساء أسس الإصلاح، وتثبيت لغة الحوار في عصره.

لقد عاش الإمام مالك نصف عمره تقريباً في عهد الدولة الأمية، والنصف الآخر في عهد الدولة العباسية، ولا شك أنه كان علامة فارقة في التاريخ الإسلامي خلال العهدين المذكورين، حيث طوى حياته في جهاد مستمر، ليؤدي رسالته من أجل عقيدته، لقي في سبيلها العنت والعذاب.

ولقد واكب الإمام مالك التحولات المتلاحقة التي مرت بها الدولتان الأموية والعباسية، وفي سياق تلك التحولات التي عكست الصراعات بين أبناء البيت الأموي، وكثرة الاتجاهات الدنيوية والدينية، والحركات الفكرية والمذهبية، وكذلك ازدياد أعداد المعارضين للدولة الأموية، فضلاً عن التناحر القائم بين الأمويين والعباسيين أواخر الخلافة الأموية، وأوائل الخلافة العباسية، ولا شك أن تلك الأحداث أثَّرت على الوضع السياسي، وأحدثت الفتن والاضطرابات والدسائس والوشايات.

وخلاصة القول، فإن الإمام مالك شهد ما في الدولتين من العدل والظلم، والفتن والثورات، ونتيجة ذلك، فلا عجب أن يتعرض الإمام مالك لمحنة زمن الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور(١٣٦/١٥٨هـ-٧٥٤/٧٧٥م). وكان يرى أن يكون له دور في صيانة المجتمعات المسلمة خاصة وقت الأزمات والنوازل، وكان يلاحظ على ما هو عليه الحكم من ظلم، فكان منهجه الاعتدال، والدعوة إلى تحكيم العقل والابتعاد عن التطرف، فالمنهج الأمثل عنده هو الحوار والإصلاح والاعتدال.

محنة الإمام مالك وموقفه من الظروف القائمة في عصره

لقد حرص الخلفاء أن تكون علاقتهم بالفقهاء علاقة جيدة لا سيما وأن الخلفاء على معرفة بيان موقف الشرع من حكمهم خاصة أنهم جاؤوا في أعقاب ثورات وصراعات، الأمر الذي دعا الخلفاء إلى الاستعانة ببعض الفقهاء لتبرير بعض ممارساتهم السياسية والإدارية، وكان من هؤلاء الفقهاء ممن لم يتخذ مواقف سياسية من السلطة الحاكمة، مما جعل بعض الخلفاء وولاتهم يلجؤون إلى استخدام الفقهاء أداةً لأغراضهم السياسية والإدارية، وعندما لم يتجاوب الفقهاء مع الخلفاء وولاتهم دخلوا في محنة مع رجال الدولة، ومنهم الإمام مالك بن أنس.

لم تكن المحن التي واجهها الفقهاء حكراً على الإمام مالك، إذ تعرض الإمام أبي حنيفة النعمان(ت١٥٠هـ/ ٧٦٧م) لفتنة في عهد الأمويين، واتهم الإمام الشافعي(ت ٢٠٤هـ/٨١٩م) بخيانة الخلافة العباسية، وعلى أثرها تعرض لمحنة قاسية، كما امتحن الإمام أحمد بن حنبل(ت٢٤١هـ/ ٨٥٥م)، في عهد المأمون(ت٢١٨هـ /٨٣٣م) في مسألة خلق القرآن.

وما يعنينا في المقام الأوّل في هذه الدراسة ليس المحن التي تعرض لها الفقهاء أصحاب المذاهب الأخرى، بل ما تعرض له الإمام مالك، والحجج التي اصطنعها رجال السياسة في بناء منظومات قائمة على امتحان من يخالفهم، والعمل على إقصائهم، ناهيك عن الغيرة والحسد التي يستغلها مخالفوهم، وإن منهج الإمام مالك يعكس الطريق الصواب من خلال رفض الظلم والدعوة إلى الحوار والإصلاح والميل نحو الأمن ونبذ التطرف والتعصب.

وفي ضوء ما تقدّم، نستطيع بناء تصوّر نظري بحيث تتمثّل نقطة البداية في وجود رأي خاصّ يرتكز على الإيمان والعلم، وما يؤديان من دور مهم في العقلانية والاعتدال، ولهما أيضاً علاقة بالآداب وبأصول التعامل المنطقي، والملاحظ أن الدولة تحاول أن تؤثر على هذا الدور، خوفا من صحوة تفاجئهم من خلف ظهورهم، وليست عظمة الإمام مالك فقط في أنه صاحب مذهب، بل إنه معتدل في منهجه في قول الحق، وقبوله للحوار وسعة صدره، وإن مثل هذه المواقف للإمام مالك تدل على تقبل الآخر والحفاظ على حقوق الآخرين، فكان يرى كل ما فيه خيراً للناس، متسلحاً بعقيدته الإسلامية.

ويجدر بنا أن نشير إلى رؤية رجال السياسة من جهة ورؤية الفقهاء والمفسرين حول الأوضاع في زمنهم من جهة أخرى، ومن هنا لا بد من التنبيه إلى الإقرار بأن بالأخطاء التي يرتكبها رجال السياسة تبقى حاضرة دائماً، بسبب الفشل في إدارة السلطة، وعليه، فإن معظم المفسرين أجمعوا على أن طاعة الله مطلقة، وطاعة رسوله مطلقة، ولكن طاعة ولي الأمر مقيدة بالمعروف، قال تعالى ﴿ :يا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾ [٥٣]، وعليه، فإن رفض الظلم واعتراضه أمر مقبول، على أن يرافق الاعتراض المنطق والعقلانية، أي لا يعني تدمير الممتلكات العامة والخاصة، بل ينبغي أن يكون الاعتراض محصنا بالحكمة، الذي يصلح أن يكون طريقاً نحو حياة مستقرة وآمنة، فحيثما يترسخ مبدأ الاعتدال تستقر حياة الناس وتتطور.

ورغم ذلك، فإن الإمام مالك تعرض لمحنة كما غيره من الفقهاء، ويبقى السؤال لماذا تعرض لمحنة، وهو الفقيه المعتدل الذي ينادي بالتمسك بالإسلام وبالأدلة الشرعية وحدها؟ ولعل الجواب على هذا السؤال متعدد بلا ريب. ولكن تبقى قراءة في بعض المصادر وما ذهبت إليه من آراء تسهم في الجواب عليه، فالمصادر اختلفت في سبب محنة الإمام مالك، يلخص لنا هذا القول ابن فرحون(ت٧٩٩هـ/١٣٩٦م):": قال الطبري اختلف فيمن ضرب مالكاً، وفي السبب في ضربه وفي خلافة من ضرب"[٥٤]" ثم يقول:" والأشهر أن ذلك كان في أيام أبي جعفر، واختلف أيضاً في مقدار ضربه من ثلاثين إلى مائة"[٥٥].

واضح من سياق ما تقدم أن الإمام مالك تعرض لمحنة لكن بقي الاختلاف حولها، فالبعض يذكر أن الإمام مالك تعرض لمحنة وبلاء بدافع من الحسد والحقد على المكانة التي حققها الإمام عند الناس وبين طلابه وأصحابه، فسعوا إلى الوالي جعفر بن سليمان على المدينة، ودسوا الوشايات إليه، وكثروا عليه عنده، وقالوا لا يرى مالك بيعتكم، وهو يأخذ بحديث في طلاق المكره، فأفتى بعدم لزوم طلاق المكره"[٥٦]، وكان العباسيون يكرهون الناس على الحلف بالطلاق عند البيعة، فرأى أن الفتوى تنقض البيعة التي يبايعها من حلف بالطلاق، ولا شك أن خصومه استغلوا حديثه بهذا الحديث، بخاصة وقت الفتن، واستغلوه ليحرضوا الثائرين على الخلافة واستغلوا مكانة مالك في العلم والإفتاء، وبسبب ذلك ضرب جعفر بن سليمان والي المدينة مالكاً بالسياط، وانفكت ذراعه"[٥٧].

وذكر ابن عبد البر(ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م) في الانتقاء: "لما دعي مالك بن أنس وشوور، وسمع منه، وقبل قوله شنف له الناس، وحسدوه ونعتوه بكل شيء، فلما ولي جعفر بن سليمان على المدينة سعوا به إليه، وكثروا عليه عنده، وقالوا : لا يرى أيمان بيعتكم هذه بشيء، وهو يأخذ بحديث في طلاق المكره أنه لا

يجوز .فغضب جعفر بن سليمان فدعا مالكاً وحده وضربه بالسياط، ومدت يداه حتى انخلع كتفاه وارتكب منه أمراً عظيماً"(٥٨).

وهناك إشارات إلى:" أنه بعد ضرب الإمام مالك أمر جعفر بن سليمان أن يطاف به في المدينة، وحُمل على بعير، فقيل له: ناد على نفسك، فقال: ألا من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني، فأنا مالك بن أنس، أقول: طلاق المكره ليس بشيء، فبلغ ذلك جعفر بن سليمان الأمير فقال: "أدركوه، أنزلوه"(٥٩). وحمل مغشياً عليه إلى بيته. ومدت يداه حتى انحلت كتفاه، وبقي بعد ذلك مطابق اليدين لا يستطيع أن يرفعهما، ولا أن يسوي رداءه"(٦٠).

والبعض عكس محنة الإمام مالك بشكل مغاير لما سبق، منها أن الحكام أحسوا مرارة ما فعلوا، أو على الأقل أرادوا أن يداووا الجراح التي جرحوها، وخصوصا أبو جعفر المنصور، فإنه لم يكن في ظاهر الأمر ضارباً، ولم يثبت أنه أمر بضرب، أو رضي مما حصل مع الإمام مالك. ولذلك لما جاء إلى الحجاز حاجاً، أرسل إلى مالك يستدعيه ليعتذر إليه، يقول القاضي عياض(ت٥٤٤هـ/١١٤٩م) :" لما دخلت على أبي جعفر، وقد عهد إلي أن آتيه بالموسم، فقال لي والله الذي لا إله إلا هو ما أمرت بالذي كان ولا علمته وإنه لا يزال أهل الحرمين بخير ما كنت بين أظهرهم، وإني أخالك أماناً لهم من عذاب الله، وقد رفع الله بك عنهم سطوة عظيمة، فإنهم أشرع الناس للفتن، وقد أمرت بعد والله أن يؤتى به من المدينة إلى العراق على قتب وأمرت بضيق حبسه، والاستبلاغ في امتهانه ولا بد أن أنزل به من العقوبة أضعاف ما نالك منه. فقلت عافى الله أمير المؤمنين وأكرم مثواه"(٦١).

إن في هذه الرواية دلالتين الأولى تدل على مكانة الإمام مالك في قلوب المسلمين، لذا ثار الناس وهاجوا المدينة المنورة، وهذا الأمر كان يعرفه أبو جعفر المنصور، لذلك أقدم الخليفة على الاعتذار، والدلالة الثانية تدل على اعتدال الإمام مالك وسماحته.

لا شك أن الظروف التي واكبها الإمام مالك، والتي سمع بها في تلك الحقبة لعبت دورا في إثارة الحقد والوشاية عليه، كذلك أثرت على حساسية علاقته بالدولة ونظامها، فمن المعروف أن الإمام مالك سمع بأحداث حروب الحجاج ضد عبد الله بن الزبير(ت٧٣هـ/ ٦٩٢م)، وفتن الخوارج، وثورة الحسين بن علي(ت٦١هـ/٦٨٠م)، وخروج محمد بن عبد الله بن حسن (النفس الزكية)(١٤٥هـ/ ٧٦٢م) بالمدينة، الذي قتل في خلافة أبي جعفر المنصور، أي قبيل محنة الإمام مالك بن أنس بعام واحد، ويبدو أن هذه الأحداث أسهمت في تشويش نظرة الدولة وإرباكها تجاه الفقهاء والمفسرين، وذلك بمراقبة تفسيراتهم الدينية، وقد استغل ذلك مروجو الفتن، فاستغلوا بصيص القدح والاستغلال حول الحديث في طلاق المكره، فأفتى بعدم لزوم طلاق المكره، فطعن الواشون في منزلة الإمام مالك عند الخليفة المنصور، مما أدى إلى تعرضه لمحنة ألمت به، وهذا ما يتنافى بتقديرنا مع معطيات تاريخية محايدة يثبت البحث فيها أنه كان ملتزماً بالاعتدال، والبعد عن التعصب ونبذ التطرف.

وبطبيعة الحال، فإنه بات من المعروف لدى الجميع أن الإمام مالك اتصف بالعلم والدين، ويتمتع بقدر كبير من الحكمة والفضل وتعظيم السنة وخدمتها، ولا شك والحال هذه أن تتوجه إلى الإمام مالك لسعة

علمه وثقافته واحترام الناس، وتقديرهم له أن تتوجه سهام الطعن، ويوشى به حتى أفرط بعضهم في اتهامه وتجريحه، فالتيار المعتدل الذي سلكه الفقهاء والعلماء هو ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه الكرام، فالاعتدال هو الامتداد الطبيعي للإسلام، وكثيراً ما تعرض أصحاب هذا التيار إلى الانتقادات منها البنّاء، ومنها الهدّام حتى لجأ خصوم الإمام مالك إلى اتهامه وتجريحه، ولم يكن الأول ولا الأخير ممن تعرض للمحن.

الخاتمة:

كانت هذه الصفحات تعريفاً بمنهج الاعتدال في فكر الإمام مالك بن أنس، ونصحه لولاة الأمور لمصلحة الأمة، وتعريفاً بهيبته ووقاره وعلمه، ولقد حمل الفقهاء لواء الإسلام حضارة ومعرفة وعلماً، ووظفوا أفكارهم لصالح الاعتدال، ونبذ التطرف، فقدموا للإنسانية تراثاً خالداً في الفقه الإسلامي، والظاهر أن الأمام مالك بلغ مكانةً علميةً سامية، وهو صاحب المذهب الذي إليه نسبة المالكية، وهو صاحب منهج عقدي معتدل، قضى حياته في جهاد مستمر، ليؤدي رسالته، والذي تحّمل من أجلها صنوف العذاب والمحن.

يستند الاعتدال عند الإمام مالك إلى المرجعية الإسلامية ممثلة في الكتاب والسنة، وعمل أهل المدينة، فكان ينبذ التعصب المذهبي، وانفتح على الآخر، من منطلق الثوابت التي ترفض الإفراط والتفريط.

تبين من الدراسة أن الإمام مالك لم يكن مداهناً لحاكم أو منتفعاً منه، وكان لا يكتم فقهه، لذلك كانت بعض فتاواه تخالف السلطة الحاكمة.

الهوامش

(١)سير أعلام النبلاء، الذهبي (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)٨/ ٩٦.

(٢)سورة البقرة، آية ١٤٣ .

(٣)مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ/١٣٤٩م)، ٢٩٤/٢.

(٤)الطبقات الكبرى، ابن سعد (ت٢٣٠هـ/ ٨٤٤م) ١/ ١٩٢.

(٥)صفة الصفوة، ابن الجوزي، ١/ ٢١٢.

(٦)أخلاق النبي، الأصبهاني (ت ٣٦٩هـ/٩٧٩م)١٨٢/١.

(٧)أعلام النبوة، الماوردي (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م)١٢٢.

(٨)الاكتفاء، الكلاعي (ت٦٣٤هـ/١٢٣٦م)٢٢٩/٢.

(٩)ينظر: لسان العرب، ابن منظور(ت٧١١هـ/١٣١١م) مادة "عدل". القاموس المحيط، الفيروز أبادي(ت٨١٧ه /١٤١٥م) ١٠٣٠. تاج العروس، الزبيدي،(ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م) مادة "عدل".

(١٠)سورة البقرة: آية ١٤٣

(١١)البداية والنهاية، ابن كثير(ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)١١٠/١. وينظر: جامع البيان، الطبري (ت٣١١هـ/٩٢٣م)١٠/٢.

(١٢)إصطلاح المذهب عند المالكية،محمد إبراهيم علي، ٤٠.

(١٣)سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٨/ ٩٦.

(١٤)ينظر: الانتقاء، القرطبي (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، ٤٤. سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٨٠/٨.

(١٥)تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون (ت٨٠٧هـ/١٤٠٤م)١ /٢٦١.

(١٦)ترتيب المدارك، القاضي عياض(ت٥٤٤هـ/١١٤٩م)١٨٣/١.

(١٧)ترتيب المدارك، القاضي عياض، ٣٩/٢.

(١٨)المصدر نفسه، ٩٦/٢.

(١٩)المصدر نفسه، ٩٢/٢.

(٢٠)مالك: حياته وعصره، محمد أبو زهرة، ص٨٢.

(٢١)ترتيب المدارك، القاضي عياض، ٩٦/٢.

(٢٢)المصدر نفسه،٣٤/٢.

(٢٣)سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٨/ ٩٨.

(٢٤)ينظر: ترتيب المدارك، القاضي عياض، ١٠٠/٢.مالك، محمد أبوزهرة، ص٨٥.

(٢٥)منازل الأئمة، أبو زكرياء السلماسي(ت٥٥٠هـ/١١٥٥م) ١٨٩.

(٢٦)ترتيب المدارك، القاضي عياض، ١١٩/٢.

(٢٧)المصدر نفسه، ٣٩/٢.

(٢٨)سورة المزمل، الآية ٥.

(٢٩)ترتيب المدارك، القاضي عياض، ١/ ١٨٥.

(٣٠)ينظر: حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني (ت٤٣٠هـ/١٠٣٨م) ٣٢٤/٦.

(٣١)الديباج المذهب، ابن فرحون (ت ٧٩٩هـ/١٣٩٦م) ٢/ ١١١.

(٣٢)ينظر: ترتيب المدارك، القاضي عياض، ٧٠/٢. تاريخ الإسلام، الذهبي، ٧١٩/٤. الديباج المذهب، ابن فرحون، ١٥٧/٢. شرح الزرقاني، الزرقاني (ت١١٢٢هـ/١٧١٠م) ٥٥/١.

(٣٣)ترتيب المدارك، القاضي عياض، ١٣٠/١. الديباج المذهب، ٩٨/١.

(٣٤)الفهرست، ابن النديم(ت٣٨٥هـ/٩٩٥م) ٢٤٧.

(٣٥)ترتيب المدارك، القاضي عياض، ١٥٣/٢.

(٣٦)مسند الموطأ، عبد الرحمن الجوهري(ت٣٨١هـ/٩٩١م) ١٠٧.

(٣٧)وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٢/ ٣٨٧.

(٣٨)الديباج المذهب، ابن فرحون،١٥٧/٢.

(٣٩)ترتيب المدارك، القاضي عياض، ١٥٧/٢.

(٤٠)الديباج المذهب، ابن فرحون، ١٢٠/١.

(٤١)شرح الزرقاني، الزرقاني، ٦٢/١.

(٤٢)شرح تنقيح الفصول، القرافي(ت٦٨٤هـ/١٢٨٥م) ٤٤٥.

(٤٣) ترتيب المدارك، القاضي عياض، ٧٠/٢.

(٤٤) تاريخ الإسلام، الذهبي، ٧١٩/٤.

(٤٥) ينظر: الديباج المذهب، ابن فرحون، ١١٨/١. شرح الزرقاني، الزرقاني، ٦٢/١.

(٤٦) تاريخ الرسل والملوك، الطبري، ٥٦٠/١١.

(٤٧) ترتيب المدارك، القاضي عياض، ٩٠/٢.

(٤٨) المصدر نفسه، ٩٠/٢.

(٤٩) تاريخ الإسلام، الذهبي،٨٨/٨.

(٥٠) ينظر: ترتيب المدارك، القاضي عياض، ٢/ ٩٢. الديباج المذهب، ابن فرحون، ١٢٥/١.

(٥١) المصدر السابق،٩٢/٢.

(٥٢) المصدر نفسه.

(٥٣) سورة النساء/الآية ٥٩.

(٥٤) الديباج المذهب، ابن فرحون، ١٣١/١.

(٥٥) المصدر نفسه.

(٥٦) ينظر: الطبقات الكبرى (القسم المتمم)، ابن سعد،٤٤١. تاريخ الرسل، الطبري، ٦٦٠/٧. الانتقاء، القرطبي، ٤٤. سير أعلام النبلاء، الذهبي،٨٠/٨.

(٥٧) الفهرست، ابن النديم، ٢٤٧. سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٨/ ٨٠.

(٥٨) الانتقاء، القرطبي، ٤٤.

(٥٩) مواهب الجليل، الحطاب الرُعيني(ت٩٥٤هـ/١٥٤٧م)٥٢٨/٢. منازل الأئمة، أبو زكرياء السلماسي، ١٩٣. سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٩٦/٨.

(٦٠) الديباج المذهب، ابن فرحون، ١٣١/١. مواهب الجليل، الحطاب الرُّعيني، ٢٨/١.

(٦١) ترتيب المدارك، القاضي عياض، ١٣١/٢- ١٣٢.

المصادر:

١. أخلاق النبي وآدابه: عبد الله بن محمد الأصبهاني(ت٣٦٩هـ/٩٧٩م)تحقيق صالح بن محمد الونيان، ط١، ٤أجزاء، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٨م

٢. أعلام النبوة: أبو الحسن علي بن محمد الماوردي(ت٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م) ط١، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨م.

٣. الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء: أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي(ت٦٣٤هـ/١٢٣٦م) تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي ط١، ٤أجزاء، عالم الكتب للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٧م

٤. الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم: أبو عمر يوسف بن عبدالله ابن عبد البر القرطبي(ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م) دار الكتب العلمية، بيروت.

٥. البداية والنهاية: إسماعيل بن عمر بن كثير(ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م) ١٤جزءاً، مكتبة المعارف، بيروت.

٦. تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الزبيدي(ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م) ط١، ١٠أجزاء، المطبعة الخيرية، مصر، تصوير بالأوفست بدار ليبيا للطباعة والنشر، بنغازي، ١٩٦٦م.

٧. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) تحقيق بشار عوّاد معروف، ١٥جزءاً، الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣م.

٨. تاريخ ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون(ت٨٠٧هـ/١٤٠٤م) تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، ط٨،٢أجزاء، بيروت، ١٩٨٨م.

٩. تاريخ الرسل والملوك: محمد بن جرير الطبري (ت٣١١هـ/٩٢٣م) ١١جزءاً، ط٢، دار التراث، بيروت، ١٩٦٧م.

١٠. ترتيب المدارك وتقريب المسالك: أبو الفضل بن موسى القاضي عياض(ت٥٤٤هـ/١١٤٩م) تحقيق سعيد أحمد أعراب، ط١، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ١٩٨١-١٩٨٣م.

١١. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير الطبري(ت٣١١هـ/٩٢٣م) ٣٠ جزءاً، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٤م.

١٢. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني(ت٤٣٠هـ/١٠٣٨م) ط ٤، ١٠أحزاء، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٤م.

١٣. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: إبراهيم بن علي اليعمري بن فرحون (ت٧٩٩هـ/١٣٩٦م) تحقيق وتعليق محمد الأحمدي أبو النور، جزآن، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.

١٤. سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي(ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) تحقيق شعيب الأرناؤوط و محمد نعيم العرقوسي، ط٢٣،٩جزءاً، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٢م.

١٥. شرح تنقيح الفصول: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس القرافي(ت٦٨٤هـ/١٢٨٥م) تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، ط١، شركة الطباعة الفنية المتحدة، القاهرة، ١٩٧٣م.

١٦. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك: محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني(ت١١٢٢هـ/١٧١٠م) تحقيق طه عبد الرءوف سعد، ط١، ٤أجزاء، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٣م.

١٧. صفة الصفوة: عبدالرحمن بن علي بن الجوزي(ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م) ط٢، ٤أجزاء، تحقيق محمود فاخوري ومحمد رواس قلعه جي، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٩م.

١٨. الطبقات الكبرى: محمد بن سعد(ت٢٣٠هـ/ ٨٤٤م) تحقيق إحسان عباس،ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.

١٩. الطبقات الكبرى(القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم): محمد بن سعد(ت٢٣٠هـ/٨٤٤م) تحقيق زياد محمد منصور، ط٢، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٩٨٧م.

٢٠. الفهرست: محمد بن إسحاق ابن النديم (ت٣٨٥هـ/٩٩٥م) تحقيق إبراهيم رمضان، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٧م.

٢١. القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروز أبادي(ت٨١٧هـ/1415م) إشراف محمد نعيم العرقسُوسي، ط٨، التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٥م.

٢٢. لسان العرب: محمد بن مكرم ابن منظور(ت٧١١هـ/١٣١١م) ط٣، ١٥جزءاً، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤م.

٢٣. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ/١٣٥٠م)، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي،ط٣، جزآن، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٦م

٢٤. مسند الموطأ: أَبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الجوهري المالكي(ت٣٨١هـ/٩٩١م) تحقيق لطفي بن محمد الصغير، طه بن علي بُو سريح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٧م.

٢٥. المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي(ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م) تحقيق محمد عثمان الخشت، ط1،دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٥م.

٢٦. منازل الأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد: أبو زكريا يحيي بن إبراهيم السلماسي (ت٥٥٠هـ/١١٥٥م) تحقيق محمود بن عبد الرحمن قدح، ط١، مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٢م.

٢٧. مواهب الجليل في شرح مختصر خليل: أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الرعينى، المعروف بالحطاب(ت ٩٥٤هـ/م) ط٣، ٦ أجزاء، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٢م.

٢٨. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين بن خلكان(ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) تحقيق إحسان عباس، ٨أجزاء، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.

المراجع

٢٩. اصطلاح المذهب عند المالكية: محمد إبراهيم أحمد علي، ط١، مطبوعات دار البحوث والدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، ٢٠٠٠م.

٣٠. مالك:حياته وعصره - آراؤه الفقهية: محمد أبو زهرة، ط٢، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٢م.